الارجنتين

شبح الانقلاب يتجوّل في الشوارع ...

يعيش نظام الحكم في الارجنتين المأزق نفسه الذي دعا أربابه قبل بضعة سنوات ، الى التراجع ، واعطاء الزعيم الارجنتيني (الراحل) خوان بيرون فرصة القيام بمهمة الانقاذ ، مع فارق الحدة التي وصلت اليها الازمة الاقتصادية والسياسية في البلاد .

واذا كانت الرئيسة بيرون التي خلفت زوجها ، قد تمكنت من الاستمرار حتى الان في سدة الرئاسة فان هذا كان بفضل المأزق القائم والانقسام بين القيادات العسكرية حول وسيلة الخروج منه : بين دعاة اتباع اسلوب العملية الجراحية على الطريقة التشيلية ، وبين الاسعد نظرا ، الذين يفضلون البقاء خلف واجهة الرئيسة لمواصلة محاولاتهم تصفية الحركات الثورية المسلحة ، قبل الصعود الى الواجهة .

ولكن اذا كان هذا العهد البيروني الاخير قد استطاع الاستمرار بفضل هذا الانقسام ، فان اشتداد الازمة ، وحلول الفوضى شبه الكاملة في البلاد ، في الفترة الاخيرة ، قد يدفع مجموعة من العسكريين الى التخلي عن تحفظاتهم والقيام بمحاولة الاستيلاء على السلطة .

المحاولات اليائسة

في الواقع كانت الاجواء ذات رائحة انقلابية شديدة في الاسبوع الماضي ، عندما قامت الرئيسة ماريا استيلا بمحاولة اخرى من محاولاتها اليائسة « للتهدئة » عندما اعلنت بانها لا ترغب في التجديد لولايتها ، معربة عن أملها بأن يساهم هذا القرار « في مصالحة كل الارجنتينيين ... » ولكن الاهم من اعلانها هذه النية ، كان تأكيدها في الوقت نفسه بانها لن تستقيل . فقد ارادت تطمين خصومها بأنها لا تسعى لخوض معركة الرئاسة القادمة في سنة ١٩٧٧ ، ولكنها كانت مهتمة اكثر بالرد على الضغوط الشديدة التي تمارس عليها من اجل ان تستقيل . وكانت اخر تلك الضغوط ، الطلب الرسمي الذي تقدمت به ثلاثة احزاب أقلية ، يدعو الى محاكمتها بتهم الفساد وسوء استخدام المنصب ، والدعوة الجارية في الكونغرس من أجل اعلان المجلس رسميا ، عجزها كرئيسة للجمهورية

ولكن رغم هذا الاعلان الذي صدر عنها وسط شائعات بانقلاب عسكري وشيك ، فان المسألة ليست ما اذا كانت الرئيسة ماريا استيلا ستجدد ولايتها ام لا ، بل ما اذا كانت ستبقى في منصبها حتى الربيع القادم . فقبل هذا التعهد منها بعدم التجدد كانت الرئيسة قد اتخذت قرارا مفاجئا باغلاق الكونغرس ، وصف كمحاولة يائسة وقد يثبت فشلها ، لانقاذ حكومتها . ويتوقع في غضون ايام ان يجتمع اعضاء الكونغرس برغم القرار للتصويت على تنحيتها من منصبها ـ الامر الذي تقاومه بمثل هذه الاجراءات التي تتخذها ، والتي تساهم في تقريب ساعة النهاية .

التجاوزات

اكثر من ذلك راحت الرئيسة بيرون في الفترة الاخيرة تتجاوز صلاحياتها الدستورية لتثير المزيد من النقمة عليها . فقد اجلت مرة اخرى ، موعد الانتخابات المفروض ان تجري في شهر تشرين الاول ـ اكتوبر ـ القادم ، واعلنت ضرورة تعديل الدستور بينما المفروض ان يجيء هذا الطلب من الكونغرس ... وبالاضافة الى ذلك ، فانها قد استخدمت سلطاتها بصورة غير شرعية لتعديل الضمانات الدستورية التي تحمي المعتقلين السياسيين ... وهذه التجاوزات في رأي المراقبين التي تحاول بها حماية حكمها ، ستساهم في اسقاطه قريبا . اذ حتى النقابات العمالية في اخر اعلان للولاء للحكم البيروني المتهاوي ، كانت متحفظة . فقد ارفقت اعلان التأييد بمطالبة الرئيسة بتغييرات سياسية في الشؤون السياسية والاقتصادية ، قد وصلت نسبة التضخم الى ٦٠ بالمائة حاليا !..

العسكر منقسمون ؟

ولكن أين العسكر من كل هذا ؟

صحيح انهم منشغلون بشن حرب شرسة ضد الثورة المسلحة في المدن وفي الريف ، والانتصار الوهمي الذي تبجحوا به قبل عدة اسابيع لم يكن اكثر من معركة من معارك مستمرة يوميا ، تمكنت القوات الحكومية فيها من الحاق ضربة موجعة لثوار المونتينيروس ، ولكنها كانت مجرد معركة . والعسكريون بالتالي منقسمون فيما بينهم . فهناك الفريق الداعي الى عدم التحرك الى حين ايجاد الحل الدستوري للازمة السياسية المشتدة . وان هؤلاء يقفون وراء دعوة الاحزاب الثلاثة بمحاكمة الرئيسة بتهمة الفساد ، او اعلانها عاجزة عن تسيير دفة البلاد ، من اجل اقالتها . انهم يفضلون مثل هذا الحل من داخل المؤسسة لاسوأ ازمة سياسية واقتصادية تشهدها الارجنتين ومن بعدها يتحركون علنا .. وهم يرون انه من الضروري سحق الحركة الثورية المسلحة الريفية والمدينية ، قبل تولي الحكم . وهناك بينهم من يرى ضرورة « التفاوض على تسوية » مع الثوار ، خاصة المونتينيروس ، من بعد انهاكهم . أما المعارضون فانهم يرون بأن الحل على الطريقة التشيلية هو الافضل ويشيرون الى نجاح طغمة الجنرال بينو شيت ، في توجيه ضربة قاصمة لقوى التغيير الثورية في البلاد . فمن يتحرك قبل من ؟ هذا هو السؤال . وليس ما اذا كانت الرئيسة بيرون ستستمر في الحكم ، وتنجح في رفض الاستقالة ، امهلا ، لانها عمليا ذاهبة ان لم يكن عاجلا ، عاجلا ، فعاجلا ...

■■

الرئيسة بيرون : بانتظار العسكر ...

الفنان اسماعيل شموط ، عرفرساما ، ثم سينمائيا . البعض يأخذ على لوحاته ، انها مغرقة في واقعيتها حتى اكثر من اللازم ، سهلة ، مباشرة ، لا توجد حالة من الرؤية الخاصة عند المتلقي .. الخ .

البعض الاخر يجد في اسماعيل شموط ، فنانا واضحا ، قريب من الناس ، تمتاز الوانه بحرارة العاطفة والحب ، وتنطلق موضوعاته من معايشته للناس ، ولابناء شعبه في معاناتهم ازاء فلسطين المحتلة .

اسماعيل شموط نفسه فيقول : « انا لا اقدم فلسفة جديدة . انا من اللد في فلسطين ، وهذه بعض جراح شعبي والامهم والامي ، امالهم وآمالي » .

وقد ورد قوله هذا في كتاب من سلسلة « عالم الفنون » ، خاص بالفنان اسماعيل شموط ، صدر عن دار « هنشل للنشر ـ برلين ـ جمهورية المانيا الديمقراطية » ، من تأليف « الدكتورة كارين ردر هانتز » ، هذه الدار متخصصة بنشر الكتب عن الفن التشكيلي العالمي ، وقدر صدر عنها حتى الان عشرات الكتب عن كبار الفنانين التقدميين المعاصرين . وجدير بالذكر ، ان هذا الكتاب هو الاول الذي يصدر عن هذه الدار عن فنان ليس اوروبيا . طبع الكتاب باللغة الالمانية ، وهو الان منتشر ليس فقط في مكتبات المانيا انما في كافة البلدان الاشتراكية ، وخلال شهر أيار سيتم طبعه بالعربية ، وبعدها سيصدر بالانكليزية .

ماذا يحتوي الكتاب ؟

الرصاص في لوحات فنية

في اول الكتاب نجد للمؤلفة بحثا مطولا هو دراسة عن فن شموط من خلال حياته الخاصة وانعكاسها على فنه ، كذلك من خلال دراسة لوحاته ، مضامينها ، الوانها ، واسلوب تعبيرها .

تبدأ المؤلفة حديثها عن شموط قائلة « بعد ضم مدينة القدس القديمة عام ١٩٦٧ اقتحم جنود اسرائيليون مكتب الجامعة العربية لاعتقال مديره ، وعندما وقع بصرهم على لوحتين كانتا معلقتين هناك ، فتحوا عليها نيران مدافعهم الرشاشة . ان المرء ليفهم انفجار هذا الحقد المشبع بنزعة التدمير والابادة اذا ما تمعن بهاتين اللوحتين اللتين رسمهما اسماعيل شموط . ان صورة الغضب هذه ما هي الا محاولة يائسة لخنق صوت الادانة ولتمزيق حقيقة حتمية هزيمة المعتدين ... كانت احدى اللوحتين اللتين ابدعتهما ريشة الفنان عام ١٩٦٠ تمثل مرة اخرى مأساة تشريد الفلسطينيين ـ النكبة ـ . اما اللوحة الثانية ـ ربيع فلسطين ـ فانها تحمل طابعا اخر ، ففيها يتصدر خلفية الاحداث القاتمة، جو تحول فيه الماضي في ذاكرة الفنان الى عصر ذهبي ، خضرة الاشجار النضرة ، والبرتقال المتلالىء والصبايا المتهاديات بازيائهن الزاهية الالوان منتصبات كأغصان الزيتون رموزا لايام سعيدة في زمن رفرف عليه السلام . من المؤكد ان التعبير هذا يبسط المشاكل ويحيط الماضي بجو من الغموض والابهام ، ومع ذلك فان الذاكرة الوجدانية انطوت على اروع آيات التحدي » .

مسؤولية الفنان العربي

هذه الحادثة التي استهلت فيها المؤلفة حديثها في الكتاب ، توضح لنا قدرة الفن المعبر والواضح على التأثير . فبقدر ما تثير هذه اللوحات ومثيلاتها وجدان الانسان ، فانها تثير حقد الاعداء . بداية الكتاب هذه ، هي تعريف مكثف بالفنان اسماعيل شموط ، ومدخل واضح للحديث عن فن ملتزم .

وبعد ان تسترسل المؤلفة في كتابة حياة شموط ومعاناته في بناء حياته الفنية تذكر لنا عن المعرض الذي اقامه الفنان في غزه وتقول « ان الصدى الكبير الذي احدثه معرض اسماعيل شموط في غزه عام